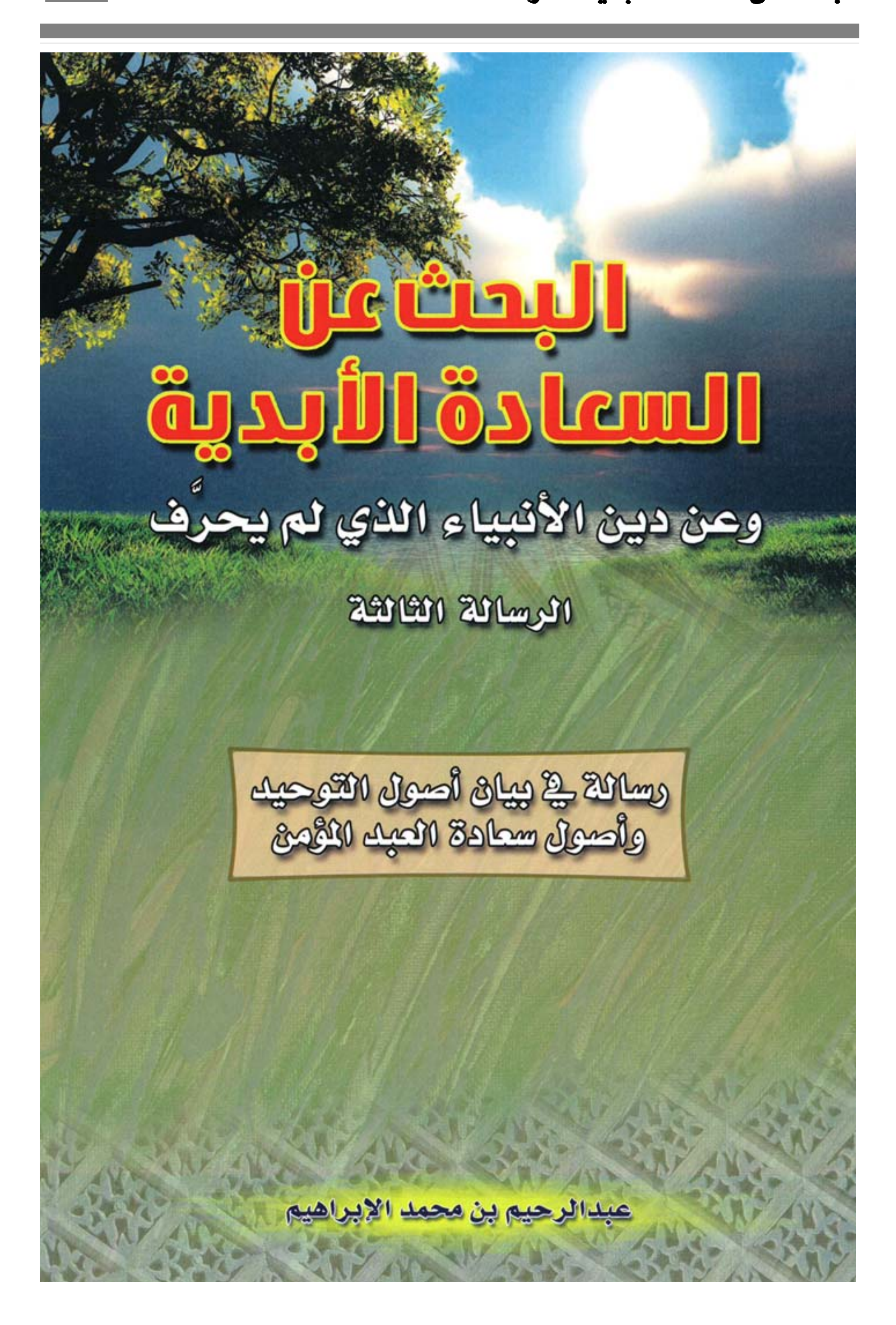

البحث عن
السعادة الأبدية
وعن دين الأنبياء الذي لم يحرَّف
الرسالة الثالثة
رسالة في بيان أصول التوحيد
وأصول سعادة العبد المؤمن
عبدالرحيم بن محمد الإبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

لقد منَّ الله عز وجل على هذه الأمة بأن أرسل إليها نبيها صلوات الله وسلامه عليه رحمة للعالمين . بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ومبشراً بجنة عرضها السموات والأرض تزيغ من سماع وصفها العقول ، وسعادة أبدية ، وقرة عين لا تنقطع ، وأمره عز وجل أن يبشِّر الناس كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً** (١٠٥)﴾ (الإسراء) ، فبدأ بأمر البشارة قبل النذارة ، وأمره كذلك أن يزف هذه البشرى خاصة لأهل التوحيد الذين كفروا بالطاغوت وآمنوا بالله وحده ، فهم أهل هذه البشرى ، كما قال الله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ** (١٧)﴾ (الزمر) .

لذا أحببت أن أستهل موضوع هذه الرسالة بذكر شيء من هذه المبشرات ، وما أعده الله عز وجل من النعيم في الجنان ، وما وصِفَت به الحور الحسان ، أخذاً بقوله ﷺ : «**بَشِّروا ولا تنفِّروا**» رواه مسلم .

مع ذكر شيء من أصول التوحيد وأركانه الذي ينال العبد بالتزامها هذه السلعة العظيمة . وقد قال ﷺ : «**ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**» رواه الترمذي .

ذكر ما أعدَّه الله عز وجل لعبده المؤمن الموحِّد من السعادة الأبدية في جنَّات النعيم مع ذكر عرائس الجنان الحور العين

روى ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي الحر قال : «**شبع يحيى بن زكريا ليلة شبعة من خبز شعير فنام عن جزئه حتى أصبح ، فأوحى الله إليه : يا يحيى هل وجدت داراً خيراً لك من داري؟ أم جواراً خيراً لك من جواري؟ وعزتي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقاً ، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح**» .

قال الله تعالى في الحديث القدسي المتفق على صحته : «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر**» . قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٧﴾﴾ (السجدة) .

قال تعالى : ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾ (محمد) ، وقال تعالى : ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴿٧١﴾﴾ (الزخرف) .

قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه : «**ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا**

خطر لها . هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، في مقام أبداً ، في حبرة ونضره ، في دور عياله سليمة بهية» (رواه ابن ماجه)

قلنا يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال : «**لبنة ذهب ، ولبنة فضة ، وملاطها المسك والأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ـ أو حشيشها الزعفران وترابها العنبر ـ من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، لا يبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه**» رواه أحمد وغيره .

قال ﷺ «**وأزواجهم الحور العين**» ، قال تعالى : ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ** ﴿٢٠﴾﴾ (الطور) ، ﴿**وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ** ﴿٤٨﴾ **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ** ﴿٤٩﴾﴾ (الصافات) ، ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ** ﴿٥٦﴾ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴿٥٧﴾ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴿٥٨﴾﴾ (الرحمن) ، ﴿**وَحُورٌ عِينٌ** ﴿٢٢﴾ **كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴿٢٣﴾﴾ (الواقعة) ، ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴿٧٢﴾﴾ (الرحمن) .

والحور : جمع حوراء ، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة بياض العين ، شديدة سوادها ، قال ﷺ : «**حور بيض عين ضخام العيون . شفر الجفون ، بمنزلة جناح النسر**»[١] .

والعين : هي العيناء ، عظيمة العينين . قال مجاهد : هي التي يحار فيها الطرف . «**كأمثال اللؤلؤ المكنون**» ، قال ﷺ : «**صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي**» «**كأنهن بيض مكنون**» ، قال : «**رقتهن كرقة**

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابن مردويه .

الجلد التي في البيضة مما يلي القشر» رواه الطبراني ، وقيل : **البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدي** .

قال ﷺ : «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** (٥٨)﴾ ، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت به سلكاً ثم استصفيته لأريته من ورائه» رواه الترمذي . وقال ابن مسعود : يرى مخ ساقها من تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء .

قال ﷺ : «**ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة لتضيء ما بين المشرق والمغرب**» . رواه الحاكم

قال ﷺ : «**لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**» . متفق عليه

قال مجاهد : (إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسين سنة» . رواه ابن أبي شيبة

قال ﷺ : «**سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها**» . رواه أبو نعيم

قال ابن القيم في نونيته :

حمر الخدود ثغورهن لآلئٌ
سود العيون فواتر الأجفانِ

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها
فيضيءُ سقف القصر بالجدرانِ

ولقـــــد روينا أن بـرقـــاً ســـــاطعــــاً

يبـــــدو فـــيـــســـأل عنه من بـجنـان

فـــيــقـــال هذا ضـــوء ثغـــرٍ ضــاحكٍ

في الجـنـة العلـيـــا كـــــمـــــا تـريـانِ

قال ﷺ : «**لو أن حوراء بصقت ـ أو بزقت ـ في بحر لجي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها**» . رواه أبو الشيخ وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا وأبونعيم .

وقال ﷺ : «**ينظر إليها أربعين سنة لا يصرف بصره**» . رواه أبو نعيم .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «**خلق الله الحور العين من الزعفران**» . رواه الطبراني وابن أبي حاتم والبيهقي

قال ابن القيم : (وإذا كان هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور ، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك) .أهـ .

قال الله تعالى : ﴿**وكواعب أتراباً**﴾ والكواعب جمع كاعب . قال ابن عباس ، وجمهور أهل التفسير : الكاعب : الناهد . وقال الكلبي : هن المفلّكات اللواتي تكعبت ثديهن وتفلّكت . قال ابن القيم : المراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل . قال :

لـكـنـهـن كـــــــــــواعـب ونـواهـدٌ

فـــــثـــــديهن كــــألطف الرمـــــانِ

هذا ما أعدَّه الله عز وجل لعبده المؤمن الموحِّد من النعيم المقيم في جنات الخلود . فيا لها من سلعة غالية : «**ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**» .

وقد قال ﷺ : «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك**» رواه أحمد .

وقفة صدق مع النفس

قال ﷺ : «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»

لقد مرَّ عليك ـ أخي ـ صفة الجنة ونعيمها الباقي الأبدي الذي تشتاق إليه وتذوب من سماع وصفه النفوس . فهو أقرب إليك ـ كما قال ﷺ من شراك نعلك . وما هي إلا ساعات أو أيام تنتهي فيه هذه الأنفاس المعدودة المقدَّرة عند الله عز وجل ، فلا تدري هل تغرب وتغيب عليك هذه الشمس بعد شروقها ـ وحينئذ ينكشف عنك الغطاء فترى ملائكة الرحمة وترى ملائكة العذاب ، وترى مقعدك في الجنة وترى مقعدك في النار .

نعم ـ أخي ـ قد تُحرم هذا النعيم العظيم وتخلد في نيران الجحيم إذا أتيت بشرك واحد أبطلت به توحيدك لرب العالمين وإسلامك . وقد قال ﷺ : «**إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**» متفق عليه .

وقال الله تعالى : ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)**﴾ (المائدة) .

ولتعلم ـ أيضاً أن الشيطان ـ لعنه الله ـ قد حرص أشد الحرص على أن تكون معه في جهنم أبد الآبدين ، فهو الذي أخرج أبويك من الجنة ، وهو الذي يسعى جاهداً بحرمانك منها .

وقد علمت ـ أيضاً ـ أن الله عز وجل قد استخلفك على هذه الأرض لينظر

كيف تعمل ، وأقام عليك الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، ولم يجعل حجته قائمة عليك إلا بذلك : ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (النساء) .

لم يجعل حجته قائمة بأقاويل المبطلين ، ولا ما أوحت به الشياطين على ألسنة علماء الضلالة بفتاوى يزجون بها الناس في جهنم ، ولم يجعل حجته قائمة بزلاّت علماء يضلون الناس بغير علم ، وبقصد أو بغير قصد .

واعلم ـ أيضاً ـ أنك سوف تموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك .

نعم . لن تحشر يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حاف عار إلا وحدك ، لن يحشر معك أحد من الخلق . فيسألك الجبار جلَّ وعلا عندئذٍ : ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)﴾ (القصص) .

لن يسألهم : ماذا أجبتم السيد الفلاني ، أو الشيخ الفلاني ، أو العالم الفلاني؟

وعندما يخلد أهل النار فيها يسألهم الله عز وجل سؤالاً آخر : ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (المؤمنون) .

لن يسألهم إلا عن بلوغ آياته إليهم ، وتلاوتها عليهم ، وسماعهم إيّاها ، هذه هي حجة الله تعالى على عباده .

ثم كيف بك إذا أُتي بك بين يدي الله عز وجل : كما جاء في الحديث عن نبينا ﷺ أنه قال : «**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال : فيقول : نعم . فيقول الله : قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك**» رواه أحمد والبخاري في الصحيح .

فماذا أعددت لهذا السؤال؟ وماذا أعددت لهذه الأهوال؟

فاصدق مع الله عز وجل في فهم هذا الدين العظيم الفهم الصحيح الذي جاء عن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ولا تقلد الكبراء والسادات . فقد قال الله تعالى : ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)**﴾ (الأحزاب) .

واعلم أن الدين دينان : دين تركه لنا الأنبياء ، ودين تركه لنا الآباء والأجداد والأسلاف والمتلاعبون بالدين الذين يخدعون الناس باسم الدين ويوردونهم المهالك في الدنيا والآخرة .

فانظر أيهما ترضى لنفسك؟ دين الأنبياء ، أم دين الأسلاف والأكثرية من الناس الذي ذمَّه الله عز وجل بقوله : ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)**﴾ (يوسف) .

وقوله تعالى : ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦)**﴾ (الأنعام) .

واعلم ـ أيضاً ـ أن أول خُطا النجاة من النار والفوز بالجنة : العلم بالله تعالى وتوحيده ، وقد قال ﷺ : «**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة**» .

وإني لأضع بين يديك بضعة ورقات فيها بيان أصول التوحيد ، وأركانه ، وشروطه ، ونواقضه ، الذي جاء بها الأنبياء ، فلعلها أن تكون سبباً في نجاتك من ظلمات الشرك والجحيم والفوز بجنات النعيم .

أولاً

معنى التوحيد وحقيقة الإسلام الذي بعث به الأنبياء

الإسلام : هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

والتوحيد : هو إفراد الله عزَّ وجلَّ بكل ما هو حق له ، وبالعبادة .

والشرك : هو أن يجعل العبد شريكاً مع الله جل وعلا في ما هو من حق سبحانه ، أو في شيء من العبادة .

وبمعنى أدق ، فإن التوحيد : هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده .

قال تعالى : ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ (البقرة) .

والعروة الوثقى : هي الإسلام . وهي كلمة لا إله إلا الله .

وهذا هو معنى لا إله إلا الله . فـ«لا إله» كفر بالطاغوت و«إلا الله» إيمان بالله وحده .

فـ«لا إله» نفي لما يعبد من الطواغيت والآلهة من دون الله عز وجل أو معه .

و«إلا الله» إثبات العبادة لله وحده جلَّ وعلا .

وهذه هي حقيقة دعوة الرسل والأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم .

قال الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل) . وقال الله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴿١٧﴾﴾ (الزمر) .

ثانياً

شروط التوحيد

والشرط : هو ما لا يقبل الشيء ولا يصح إلا بوجوده .

فإذا علمت ـ أخي ـ معنى التوحيد ، فلابد عليك أن تعلم أيضاً شروطه التي لا يصح التوحيد إلا بها ، وهذا لأن انتفاء شرط من هذه الشروط يعني انتفاء أصل الإسلام . كالصلاة إذا انتفى أحد شروط صحتها كاستقبال القبلة ، أو ستر العورة ، أو غير ذلك ، فإنها تبطل ، وأما شروط التوحيد فهي سبعة :

(الشرط الأول) العلم : قال الله تعالى : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ (محمد) .

وقال ﷺ : «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**» (رواه مسلم) .

ومعنى هذا الشرط : أن يكون المسلم عالماً بكل ما هو حق لله عز وجل ـ كما سوف يأتي بيان حقوقه سبحانه ـ لأنه إذا لم يكن بهذه الصورة وأعرض عن كتاب الله وعن تعلم ما قد بيَّنه الله تعالى بأنه حق له وحده ، وجاء بما يناقض هذه الشهادة من أفعال شركية لم ينتفع بهذه الشهادة . كما قال الله تعالى : ﴿ **إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (٨٦)﴾ (الزخرف) .

لذا جعل العلم هنا شرطاً في صحة قبول التوحيد وإسلام العبد .

يقول الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (هذا الكلام يسير يحتاج إلى بحث طويل . . . والبحث عما قاله العلماء في قوله تعالى : ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ (البقرة : ٢٥٦) . ويجتهد في تعلم ما علَّمه الله ورسوله ﷺ ، وما علَّمه الرسول ﷺ أمته من التوحيد ،

ومن أعـرض عن هذا فطبع الله على قلبـه وآثر الدنيـا على الـدين لم يعـذره الله بالجهالة» .أهـ .[١]

(الشرط الثاني) اليقين : وهو أن يتيقن بما دلَّت عليه كلمة لا إله إلا الله من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، فلا يكون شاكاً ولا متردداً ، قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (١٥)﴾ (الحجرات) .

وقال ﷺ : «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما إلا دخل الجنة**» رواه مسلم .

(الشرط الثالث) القبول : وهو أن يقبل بهذا التوحيد العظيم الذي جاء به الأنبياء ، ويجتنب الطواغيت بشتى صورها ورؤوسها ، وينيب إلى الله حق الإنابة ، قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ** (١٧)﴾ (الزمر) .

ودليل القبول قول الله تعالى : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** (٣٥) **وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** (٣٦)﴾ (الصافات) .

(الشرط الرابع) الانقياد : وهو أن يعمل وينقاد إلى ما علمه من التوحيد وتيقَّن به وقبله ، فيكفر بكل طاغوت عبده العابدون ، ويتبرأ منه ويؤمن بالله وحده ، قال الله تعالى : ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٦٥)﴾ (النساء) .

---

(١) كتاب «مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ خمسون رسالة في التوحيد ـ للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

والفرق بين الشرط الثالث والرابع : أن الشرط الثالث وهو (القبول) يكون بالأقوال ، وأما الشرط الرابع (الانقياد) فإنه يكون بالأفعال .

(الشرط الخامس) الصدق : وهو أن يصدق العبد بالتوحيد الذي عاهد الله عز وجل الالتزام به ، ولا يأتي بما ينافي هذا الصدق من اتخاذ هذا الدين ألعوبة يتلاعب به على أهله ، وينافقهم في ذلك . كفعل المنافقين الذين : ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ⑨﴾ (البقرة) .

قال ﷺ : «**من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة**» رواه أحمد .

(الشرط السادس) الإخلاص : والإخلاص : هو يسلم ويصفو توحيد الله عز وجل من مخالطة ما يشوبه من الشرك والباطل وحظوظ النفس ، فيخلص العبد توحيده لله تعالى ولا يشرك به شيئاً ، ويبتغي بكل ما يعمل وجه الله عز وجل . قال الله تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ⑤﴾ (البينة) .

وقال ﷺ : «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**» رواه البخاري .

وقال ﷺ : « . . . **فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» متفق عليه .

(الشرط السابع) : المحبة : وهو أن تكون محبة الله عز وجل وتوحيده أعظم عند المسلم من كل شيء . قال الله تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ (البقرة : ١٦٥) .

ثالثاً

أركان التوحيد

والركن : هو ما ينبني عليه الشيء ، ولا يصح الشيء ، ولا يقوم إلا بوجوده .

وإذا ترسخ - أخي - في نفسك معرفة معنى التوحيد ، وشروطه ، فلا بد عليك أن تعرف أيضاً أصل الأصول في ذلك التي هي أركان التوحيد ، فإن للتوحيد أركاناً لا يصح إلا بها . كالصلاة جُعل لها أركاناً لاتصح إلا بها . كتكبيرة الإحرام ، والركوع ، والسجود ، والتشهد الأخير ، وغير ذلك . والتي إذا أخلَّ العبد بشيء منها بطلت صلاته . والتوحيد كذلك له أركان إذا ترك العبد شيئاً منها بطل توحيده وإسلامه . وأما أركان التوحيد فهما ركنان :

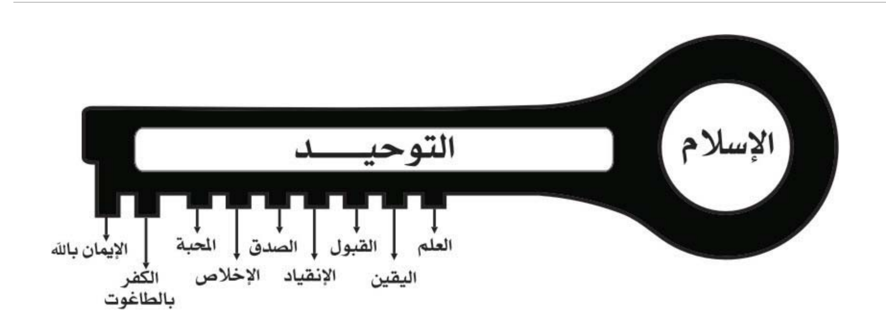
الركن الأول : الكفر بالطاغوت .

والركن الثاني : الإيمان بالله وحده .

والدليل قول الله تعالى : ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ (البقرة :٢٥٦) .

والعروة الوثقى : هي الإسلام ، وهي كلمة لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد .

قال ﷺ : «**من قال لا إله إلا الله وكَفَر بما يُعبد من دون الله فقد حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**» رواه مسلم .



روى البخاري في صحيحه : فقال : قيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال : «بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك» .



وهذا المفتاح الذي تزعم الكرامية ومن كان على نهجها ـ في كل زمان ـ ممن ظن منهم أن قول : لا إله إلا الله دون الإتيان بأركانها وشروطها موجب لدخول الجنة ، حتى غرهم في دينهم ما كانوا يفترون ـ فكيف لهذا المفتاح الذي جاؤوا به أن يفتح لهم وقد جُرِّد من أسنانه؟ !

الركن الأول

الكفر بالطاغوت

كما ينبغي عليك أن تعلم ـ أخي ـ أن العبد لا يكون مسلماً موحداً حتى يكفر بالطاغوت .

والطاغوت : هو كل من طغا وعُبد من دون الله ، أو نسب لنفسه شيئاً من أفعال الله أو صفاته أو شيئاً من العبادة .

فهو كل من طغى وتجاوز حده وأخذ حقاً من حقوق الله تعالى ونسبه لنفسه . وجعل نفسه نداً لله فيما هو من خالص حقه عزَّ وجلَّ .

وحتى يتضح المعنى فبيان معنى الطاغوت . هو أن يصرف مخلوق لنفسه إحدى هذه الأمور الثلاث :

١ ـ أن يصرف مخلوق لنفسه فعلاً من أفعال الله عز وجل الخاصة بربوبيته . كالخلق ، أو الرزق . أو التشريع والحكم . . . إلخ ، فإن فعَلَ ذلك فهو طاغوت .

٢ ـ أن يصرف مخلوق لنفسه صفة من صفات الله عز وجل ، كعلم الغيب وما شابه ذلك ، فإن فَعَل ذلك فهو طاغوت .

٣ ـ أن يُصرف لمخلوق عبادة من العبادات . كالسجود ، أو التحاكم . . . إلخ . فإن أقر ذلك فهو طاغوت ، وقد يكون سكوته وعدم الإنكار إقرار إن لم يتبرأ ويترك .

فهذه الأمور الثلاث المذكورة من صرف منها شيء لنفسه فهو طاغوت وندًّا لله عز وجل ، لا يصح إسلام العبد إلا بالكفر به .

وقد عَرَّف الإمام مالك ـ رحمه الله ـ الطاغوت بقوله : «والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله عز وجل»أهـ .

وهذا تعريف عام جيد يدخل فيه جميع ما عُبد من دون الله ، ومن هذه المعبودات التي تعتبر طواغيت : (الأصنام) ، ومنها (الأوثان من قبور يطاف حولها ، وأعلام يقام لها ، وأشجار وأحجار يصرف لها شيء من العبادة ، وغيرها من الجمادات المعبودة) ، ومنها (الدساتير والقوانين والأحكام التي يتحاكم إليها من دون حكم الله تعالى) ومنها : (القضاة الذين يحكمون الناس بهذه الأحكام المخالفة لحكم الله عز وجل ، ومنها (الذين نصبوا أنفسهم مشرعين في السلطة التشريعية ـ البرلمان ـ التي صُرف لها حق التشريع المطلق) ، ومنها (الشيطان) ومنها (الكهنة الذين يتكلمون بعلم الغيب) فهؤلاء كلهم طواغيت يجب الكفر بهم والبراءة منهم وممن عبدهم .

رؤوس الطـواغيت

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله : (الطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة :

(**الأول**) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله تعالى . والدليل قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴿٦٠﴾ ﴾ (يس) .

(**الثاني**) الحاكم الجائر المغَيِّر لأحكام الله تعالى : والدليل قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ (النساء : ٦٠] .

(**الثالث**) الذي يحكم بغير ما أنزل الله . قال الله تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (المائدة : ٤٤) .

(ومقصود الشيخ هنا هو القاضي الذي يحكم بشريعة ذلك المغيّر لأحكام الله) .

(**الرابع**) الذي يَدّعي علم الغيب من دون الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴿٢٦﴾ ﴾ (الجن) .

(الخامس) الذي يُعْبَد من دون الله وهو راض بالعبادة . والدليل قوله تعالى : ﴿**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنبياء) أهـ .[1]

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ **ولا يشرك بعبادة ربه**

(١) مجموعة التوحيد : الرسالة الأولى (١/ ٥) .

أحداً﴾ (اعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من يميّز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية تمييزاً تاماً ، وأيضاً يعرف ما عليه غالب الناس :إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل شرك المشركين إليه ، وإمّا مصدّق لهم تابع لهم ، وإما رجل شاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميّز بين دين الرسول ﷺ ودين النصارى) أ هـ .[1]

(١) تاريخ نجد ـ لحسين بن غنام ، ص ٥٠٦ .

كيـف تكفـر بالطاغـوت

واعلم أخي ـ نوَّر الله قلبك ـ أن صفة الكفر بالطاغوت يلزم منها خمسة أمور :

(أولاً) : الإعتقاد ببطلان عبادة الطاغوت قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** (٦٢) ﴾ (الحج) .

(ثانياً) : الترك والإجتناب : وهو ترك عبادة الطاغوت وصرف شيء من العبادة له ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ (النحل : ٣٦) ، وقال تعالى : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** (٣٠) ﴾ (الحج) .

واعلم أيضاً أن من عبادة الطاغوت والأوثان التحاكم إليها والاستنصار بها والنذر لها . يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره : (الطاغوت الشيطان ، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم إليها ، والاستنصار بها) .[١]

ويقول ابن تيمية رحمه الله : (ولهذا سُمِّي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوتاً) .أهـ .[٢]

ويقول ابن القيم رحمه الله : (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله) .أهـ .[٣]

ويقول العلامة الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ـ رحمه الله ـ في كتابه

(١) تفسير ابن كثير ، سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠١) .

(٣) إعلام الموقعين : (١/ ٤٠) .

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . عند باب قوله تعالى : ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون . . .**﴾ الآية .

قال : (وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت الذي هو ما سوى الكتاب والسنة من الفرائض ، وأن المتحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم) .أهـ .

(ثالثاً) : العداوة : قال الله تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه السلام في قوله لقومه ﴿**قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾**﴾ (الشعراء) .

(رابعاً) : البغض : قال الله تعالى : ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ (الممتحنة) .

(خامساً) : تكفيره : أي تكفير الطاغوت ، والكفر به قال تعالى : ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ (البقرة :٢٥٦) .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : (اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل : ٣٦) . أما صفة الكفر بالطاغوت : أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكَفّر أهلها وتعاديهم) أهـ .

ويقول أيضاً « واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً إلا بالكفر بالطاغوت . والدليل قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** ﴾ (البقرة : ٢٥٦) أهـ . (١)

---

(١) مجموعة التوحيد ـ الرسالة الأولى ، ص (١٤ ـ ١٥) .

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب : « فالله الله يا اخواني ، تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره ، وأسه ورأسه ، شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها ، وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت ، وعادوهم ، وأبغضوهم ، وأبغضوا من أحبهم ، أو جادل عنهم ، أو لم يُكفّرهم ، أو قال : ما علي منهم ، أو قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم .

فالله الله ، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً ، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين) .أهـ .[١]

(١) مجموعة التوحيد ـ الرسالة الخامس (١/ ١٤١) .

الركن الثاني

الإيمان بالله وحده

وأمَّا الركن الثاني من أركان التوحيد فهو الإيمان بالله تعالى وحده .

والإيمان بالله : هو أن تؤمن بالله عز وجل وتفرده بجميع أفعاله الربوبية وأسمائه وصفاته وبجميع صور العبادة . والإيمان بالله تعالى على ثلاثة أقسام ، وهذه الأقسام الثلاثة هي أقسام التوحيد :

أقسام التوحيد

القسم الأول : توحيد الربوبية : وهو أن يوحِّد العبد أفعال الله تعالى الخاصة بربوبيته ، كالخلق والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والنفع ، والضر ، والحكم والتشريع ، وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿٤٠﴾﴾ (الروم) . وقال تعالى : ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ (الأعراف : ٥٤) . وقال تعالى : ﴿**إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه**﴾ (يوسف : ٤٠) .

القسم الثاني : توحيد الأسماء والصفات : وهو أن يوحد العبد ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسولهﷺ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل . قال تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾﴾ (الشورى) . وقال تعالى : ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ...**﴾ (النمل) .

القسم الثالث : توحيد الألوهية : وهو توحيد العبادة : وهو أن يوحِّد العبد

أفعاله العبادية للرب عز وجل ، كالقيام ، والركوع ، والسجود ، والطواف ، والتحاكم ، والدعاء ، والذبح ، وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** . . .﴾ (النساء : ٣٦) .

لوازم التوحيد

فإن وفقك الله ـ أخي ـ إلى فهم ومعرفة أركان التوحيد وشروطه وأقسامه . فاعلم أيضاً أن للتوحيد لوازم ثلاث لا يصح توحيد العبد إلا بالإتيان بها .

اللازم الأول : توحيد الله تعالى بالقلب . (وذلك بالاعتقاد والعلم) .

اللازم الثاني : توحيد الله تعالى باللسان . (وذلك بالإقرا روالقول) .

اللازم الثالث : توحيد الله تعالى بالعمل . (وذلك بفعل أعمال الجوارح) .

وقد بَوَّب الآجري ـ رحمه الله ـ باباً في كتابه (الشريعة) ـ في بيان معتقد أهل السنة والجماعة فقال «باب القول : بأن الإيمان تصديق القلب ، وإقرار اللسان ، وعمل الجوارح ، لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث»أهـ .

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في رسالته كشف الشبهات : «ولا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً»أهـ .

ويقول أيضاً رحمه الله : «فنقول : لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان : الذي هو القول ، والعمل : الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي ، فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقده فهو منافق خالص أشر من الكافر»أهـ .[١]

---

(١) الدرر السنية (٢/ ١٢٤) .

نواقض التوحيد والإسلام

والناقض : هو ما يبطل الشيء ويفسد بوجوده .

كما ينبغي عليك أيضاً أن تتعلم من التوحيد وأمر الجاهلية ما تتعرف به على نواقض التوحيد حتى لا تقع في شيء من ذلك . فإن للتوحيد نواقض كما أن للصلاة نواقض إذا وقع المصلي في أي ناقض منها بطلت صلاته . كالحدث في الصلاة ، والأكل والشرب في الصلاة ، ونحو ذلك من مبطلات الصلاة . وكذا التوحيد له نواقض إذا وقع العبد في أي منها بطل توحيده وإسلامه ، وكان بالله مشركاً كافراً . ومن نواقض التوحيد ما يلي :

الناقض الأول : الشرك بالله عز وجل : ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)**﴾ (الزمر) .

ومن صور الشرك : نصب المشرعين مع الله سبحانه في السلطة التشريعية (البرلمان) التي صُرف لأعضائها حق التشريع المطلق الذي لا يكون إلا لله عز وجل ، ويكون العبد متّخذاً لله نداًّ ومشرعاً إذا نصب وصوَّت ورشَّح من ينوب عنه في سلطة التشريع . سواء كان ذلك منه بنيَّة صالحة أو بنيَّة فاسدة . فكله كفرٌ برب السموات والأرض ، ومالك السموات والأرض ، ومشرع وحاكم السموات والأرض .

قال الله تعالى : ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ .

فكما أن الخلق له وحده جلَّ وعلا وهو من أفعال ربوبيته . فكذلك الأمر الذي هو الحكم والتشريع فإنه له وحده سبحانه وهو من أفعال ربوبيته .

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ (الشورى).

وقال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ (التوبة).

ومن صور الشرك: صرف عبادة التحاكم إلى الطواغيت، والذهاب إلى المحاكم الطاغوتية التي لا تحكم بشرع الله لفض النزاع بين المتخاصمين في القضايا عندها. والدليل قول الله عز وجل: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يوسف).

وقد نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية إجماع أهل الإسلام في كفر من تحاكم إلى الطاغوت.

قال رحمه الله: (وفي هذا كله مخالفة لشريعة الله التي أنزلها على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كَفَرَ. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقَدَّمها عليه؟! من فَعَلَ ذلك كَفَرَ بإجماع المسلمين» .أهـ.[١]

ويقول العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمهم الله ـ عندما سئل عن التحاكم إلى غير ما أنزل الله عز وجل، فأجاب قائلاً: «من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعد التعريف فهو كافر» .أهـ.[٢]

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٨).
(٢) الدرر السنية (١٠/ ٤٢٦).

ويقول العلامة الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : «وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت الذي هو ما سوى الكتاب والسنة من الفرائض ، وأن المتحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم» .أهـ .[١]

ومن صور الشرك : صرف عبادة القيام للعَلَم على هيئة السكون ، قال تعالى : ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴿٢٣٨﴾﴾ (البقرة : ٢٣٨) .

وقال تعالى : ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴿٢٦﴾﴾ (الحج) .

ومن صور الشرك : صرف عبادة الطواف حول القبور ، قال تعالى : ﴿**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴿٢٩﴾﴾ (الحج) .

وقال تعالى : ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴿٢٦﴾﴾ (الحج) .

ومن صور الشرك : صرف عبادة الذبح للأولياء والقبور ، قال تعالى : ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴿٢﴾﴾ (الكوثر) .

وقال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾﴾ (الأنعام) .

ومن صور الشرك : صرف عبادة الدعاء لغير الله ، كدعاء الأموات والاستغاثة بهم ، والدليل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴿٦٠﴾﴾ (غافر) .

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . باب «ألم تر إلى الذين يزعمون . . .» الآية .

وقال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)﴾ (الجن) .

وقال تعالى : ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)﴾ (غافر) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤)﴾ (الأعراف) .

وقال تعالى : ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ (فاطر) .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)﴾ (الأحقاف) .

والدعاء في اللغة : هو السؤال والطلب ، والاستغاثة : هي طلب الغوث من المستغيث به .

فمن دعا غير الله فيما لا يقدرعليه ولا يستطيع على فعله إلا الله عز وجل فهو مشرك ، لأن الداعي «بهذه الدعوة» قد جعل المدعو ـ العاجز الضعيف الغير قادر ـ بمنزلة ومرتبة الله عز وجل ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، قال تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ (النمل) .

فقوله : «أَمَّن» أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، ولا يكشف السوء إلا هو سبحانه .

وهناك ثلاثة شروط لابد أن تتوفر جميعها في الداعي حتى لا يقع في الشرك بصرفه عبادة الدعاء لغير الله جل وعلا .

الشـرط الأول : أن يكون المدعو قادراً غير عاجز عن إجابة من دعاه ، ونستطيع أن نفهم هذا من قول الله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** ﴿١٥﴾﴾ (القصص) .

فإن موسى عليه السلام كان قادراً على إجابة داعيه ، لذلك انتفى معنى الشرك في مثل هذه الصورة . بخلاف من يدعو غير الله في طلب الرزق من العدم ، ورزق المولود ، وتفريج الكروب ، التي لا يستطيع على تفريجها إلا الله عز وجل ، وما شابه ذلك ، فإن هذا يكون مشركاً بالله ، لأن هذه الأمور هي من خصائص الله جل وعلا ، وسؤالها من غيره سبحانه يعد شركاً به . قال تعالى : ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ** ﴿١٤﴾﴾ (الرعد) .

الشـرط الثاني : أن يكون المدعو حياً ليس بميت ، لأن الميت عاجز ـ شرعاً وعقلاً ـ عن إجابة داعيه ، فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

قال تعالى : ﴿**فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴿٥٢﴾﴾ (الروم) .

وقال تعالى : ﴿**إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴿١٤﴾﴾ (فاطر) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤)﴾ (الأعراف) .

وأما ما يُحكى من الأكاذيب والقصص والحكايات عن المقبورين فهي من ألاعيب إبليس اللعين وأتباعه الشياطين من الجن وأوليائهم من الإنس السدنة والقائمين على هذه القبور يزينون للناس عبادتها ، ويتلاعبون بعبَّاد القبور فيحدثون لهم بعض الأصوات والتهيئات وما شابه ذلك من هذه القبور فيظنون بذلك أن الأموات قد سمعوهم واستجابوا لهم .

الشرط الثالث :أن يكون المدعو حاضراً غير غائب ، لأن الغائب عاجز عن السماع غير قادر على إجابة داعيه ، فهو بمثابة الميت الغير قادر على إجابة من يسأله ويدعوه ، والذي له صفات الكمال هو الله عز وجل ، فهو الذي يسمع القريب والبعيد ، ويعلم ما تكنه الصدور وتخفيه النفوس ، والذي يفعل ذلك ويدعو غائباً قد أشرك في صفة من صفات الكمال لله عز وجل وهي صفة السمع المطلق ، زيادة على ذلك وقوعه في شرك العبادة وشرك الألوهية بدعائه من لا يملك له ضراً ولا نفعاً .

الناقض الثاني : مبايعة الطواغيت الحاكمين بغير شرع الله واتخاذهم أولياء ، وجعلهم أولياء أمور يجب السمع والطاعة لهم . فإنه كفرٌ بالله عزَّ وجلَّ وكفرٌ بتوحيده .

والدليل قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾ (البقرة) .

فحكم الله بكفر من تولى الطواغيت كما في قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ...﴾ وبيَّن أنه لا يتولى الطواغيت إلا من هو كافر مثلهم ، وذلك بقوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

وقد سمَّى الله عز وجل الحاكم بغير كتابه طاغوتاً . كما في قول الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (النساء :٦٠) .

يقول ابن تيمية : «ولهذا سُمِّي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوتاً» .أهـ .(١)

ويقول ابن القيم : (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله) .أهـ .(٢)

وقد تقدم قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في بيان رؤوس الطواغيت الخمسة وذكر منها : (الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله ، والقاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله) . وقال في ذلك كما في وصيته لأهل التوحيد : (اكفروا بالطواغيت ، وعادوهم ، وأبغضوهم ، وأبغضوا من أحبهم ، أو جادل عنهم ، أو لم يكفِّرهم ، أو قال ما عليَّ منهم ، أو قال ما كلَّفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم . فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً ، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠١) .

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٤٠) .

(٣) مجموعة التوحيد ـ الرسالة الخامسة (١/ ١٤١) .

بالصالحين» .أهـ .[٣]

الناقض الثالث : الشك في كفر الطواغيت وكفر المشركين . يقول الله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة : ٢٥٦) .

وقال الله تعالى : **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ①﴾** (البينة) .

وذلك أن الله تعالى قد حكم بكفر الطواغيت والمشركين . فالتوقف في كفرهم والشك في ذلك فيه رد وتكذيب بخبر الله عز وجل الذي حكم بكفرهم وأمر بتكفيرهم .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسيره أضواء البيان : قال رحمه الله : (وبهذه النصوص السماوية يظهر غاية الظهور : أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله ﷺ ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم)أهـ .[١]

ومقصود الشك هنا أن يشك الإنسان في كفر من أجمعت الأمة على كفره كاليهود والنصارى والمشركين وغيرهم . وليس هناك فرق بين مشركي الجاهلية الذين شهدوا على أنفسهم بأنهم مشركين وبين مشركي هذا الزمان الذين يدعون الإسلام والإيمان وهم يصرفون حق الله تعالى وما يختص به عز وجل لغيره . يقول الشوكاني رحمه الله : « إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء

(١) أضواء البيان ٤/ ٨٢ ـ ٨٥ ، تفسير الآية ٦٠ من سورة النساء .

على بعض المسميات ، بل الشرك هو أن يُفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه ، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه إسماً آخر فلا اعتبار بالإسم فقط » أهـ .(١)

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في رسالته : «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» : (وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ تقي الدين : أن من دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو كافر ، وأن من شك في كفره فهو كافر)أهـ .

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى : (فمن قال : إن التلفظ بالشهادتين لا يضر معهما شيء ، أو قال : من أتى بالشهادتين وصلى وصام لا يجوز تكفيره ، وإن عبد غير الله فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر ، لأن قائل هذا القول مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين كما قدمنا ونصوص الكتاب والسنة في ذلك كثيرة ، مع الإجماع القطعي الذي لا يستريب فيه من له أدنى نظر في كلام العلماء ، ولكن التقليد والهوى يعمي ويصم : ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** (٤٠)﴾ (النور)أهـ .(٢)

ولكن ينبغي هنا في مثل هذا الناقض ـ مراعاة أن لا يكون ذلك سبيل ومسوغ وسلسلة تجر إلى تكفير أهل الإسلام ، فيقال مثلاً : من فَعَل كذا فقد كَفَر ، ومن شك في كفر هذا الفاعل فقد كَفَر ، ومن شك في كفر هذا الشاك فقد كَفَر . فهذا لا شك أنه باطل ، ومن الجهل بدين الله تعالى .

الناقض الرابع : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كَفَرَ . قال الله تعالى : ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** (٦٥) **لا تَعْتَذِرُوا قَدْ**

(١) الدرر النضيد ـ ضمن الرسائل السلفية ص ١٨ .

(٢) الدرر السنية (١٠/ ٢٠٥) .

كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبـة :٦٦) .

الناقض الخامس : السحر والعمل به ، بما فيه تعامل مع الشياطين .

من فعله فقد كَفَر قال تعالى : ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ (البقرة :١٠٢) .

الناقض السادس : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

قال تعالى : ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴿٥١﴾﴾ (المائدة :٥١) .

ومظاهرة المشركين : أي مناصرتهم .

الناقض السابع : القسم على احترام الصنم أو الوثن أو الدستور الوضعي أو غيرها من الطواغيت . قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ**﴾ (التوبة :٧٤) .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : « واعلم رحمك الله أن دين الله يكون على القلب بالإعتقاد والحب والبغض ، ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر ، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تُكَفِّر فإذا اختل واحد من هذه الثلاث كَفَرَ وارتد » .(١)

وقال في رسالته كشف الشبهات : «فإذا تحققت أن بعض المنافقين الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تَبَيّن لك أن الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو

(١) الدرر السنية (٨/ ٨٧) . .

جاه ، أو مداراة لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها » .

الناقض الثامن : ولاء الجندية للطاغوت والعمل معه في سلكه العسكري من جيشه وشرطته ، ومناصرته وتكثير سواده . فإن ذلك من أعظم معاني الولاء للطاغوت . يقول الله تعالى : ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (٥١)﴾ (المائدة) .

وهذا في حق من يتولى اليهود والنصارى . فكيف بمن يتولى الطواغيت .

ويقول الله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ (البقرة : ٢٥٧) .

وهو أيضاً ينافي أصل التوحيد الذي هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (٢٥٦)﴾ [البقرة :٢٥٦] .

وهكذا الذي يدخل في سلكه العسكري وإن لم يقاتل معه وأبغضه وكفَّره فإنه يشمله هذا الحكم ، لأنه قد أظهر الولاء الأعظم للطاغوت فيحكم عليه بالظاهر ، أما سريرته فإلى الله عز وجل .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : «إن أناساً كانوا يُؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمَّنَّاه وقرَّبناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسب في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال : **إن سريرته حسنة**» .

وكونه واقع في الكفر الأكبر لأنه لم يكفر بالطاغوت فإن صفة الكفر

بالطاغوت لها خمسة أركان .

١ ـ اعتقاد بطلانه .

٢ ـ تركه واجتنابه .

٣ ـ بغضه .

٤ ـ عداوته .

٥ ـ تكفيره .

فالبغض عمل القلب ، والعداوة عمل الجوارح ، وتكون ظاهراً وباطناً ، بخلاف البغض الذي لا يكون إلا في الباطن .

فمن اعتقد بطلان الطاغوت وأبغضه وكفَّره ولكنه لم يعاديه ولم يجتنبه ، بل أظهر له أعظم معاني الولاء وهو ولاء الجندية له لم ينفعه حينئذ بغضه أو تكفيره لأنه قد اختل عنده أحد هذه الأركان وهو ركن العداوة . فإن عداوة الطاغوت تقتضي وتستلزم تركه واجتنابه وعدم الدخول في جيشه وتكثير سواده ، والمقصود بالعداوة هنا أن لا يظهر الإنسان ما ينافيها ويناقضها من إظهار الولاء لأعداء الله ورسوله ، فالذي لا يجهر مثلاً بالعداوة ويظهرها للكفار بسبب ضعفه وعدم لحاق الضرر به ، هذا لا يقال عنه إنه لم يحقق ركن العداوة هنا إن كان يدين الله عز وجل ببغض الكفار وعداوتهم ، ولم يظهر ما ينافي تلك العداوة .

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمهم الله : (ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة ، فالأول : يعذر به مع العجز والخوف . لقوله تعالى : ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ (آل عمران :٢٨) .

والثاني : لا بد منه ، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي ، لا ينفك عنه المؤمن . فمن عصى الله بترك إظهار العداوة

فهوعاص لله .

فإذا كان أصل العداوة في قلبه فله حكم أمثاله من العصاة ، فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة ، فله نصيب من قوله تعالى : ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**﴾ (النساء : ٩٧) . لكنه لا يكفّر ، لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير) انتهى .[١]

فقوله : «فالأول يعذر به مع العجز والخوف» .

المقصود هنا : أنه إذا كان بين ظهراني المشركين ولم يستطع أن يظهر دينه ويصرح لهم بالعداوة خوفاً منهم فإنه يعذر ، أما إن استطاع ولم يفعل فإنه عاص آثم ليس بكافر ، لأن أصل العداوة قائم في نفسه ومترسخ في قلبه ، فكان وقوعه في الإثم لأجل عدم امتثاله أمر الله الذي أمر بإظهار هذه العداوة وإبدائها : ﴿**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء**﴾ (الممتحنة : ٤) .

هذا كله بشرط ـ كما تقدم ـ أن لا يأتي الإنسان بما ينافي تلك العداوة . كأن يصف المشركين بأنهم إخوان له وليسوا بأعداء مثلاً ، أو يقفز في معسكرهم ليكثر سوادهم ، فإنه حينئذ يكون كافراً ، سواء صرَّح لهم بالعداوة أو لم يصرّح .

الناقض التاسع : الدخول في دين الوطنية تحت مظلة (الوحدة الوطنية) والدعوة إليها . يقول الله تعالى : ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾**﴾ (العنكبوت) .

(١) الدرر السنية (٨/ ٣٥٩) .

ويقول الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة : ١٦٥) .

الناقض العاشر : رفع الأعلام والصلبان وكل ما صرف له عبادة من الأوثان ، وجعلها على شكل شعارات ترفع على الجباه وتوضع على الصدور بما يكون فيه رفعة لها ، واحترام ، وذلك أن كل ما صُرف له عبادة من الجمادات فهو وثن وطاغوت ، فالعَلَم صرف له عبادة القيام ، والصليب صرف له عبادة التعظيم ، والقبر الذي يشد إليه الرحال صرف له عبادة الطواف . فأصبحت بهذا طواغيت لا يصح إسلام العبد إلا بالكفر بها . فتعليقها ورفعها ينافي أصل الكفر بها . وقد قال الله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة :٢٥٦) .

كلمات نافعة طيِّبة
للإمام محمد بن عبد الوهاب
في بيـــان
معنى التوحيد ومعنى لا إله إلا الله

يقـول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

(فصـل في معنى : لا إله إلا الله ، اعـلم رحـمك الله تعـالى ، أن « لا إله إلا الله » هي : الكلمـة العـاليـة ، والشـريفة الـغاليـة ، من اسـتـمسـك بهافقـد سلـم ، ومن اعتصم بها فقد عـصم ،قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعـبـد من دون الله ، حـرم مـاله ودمـه ، وحسـابه على الله عـزّ وجلّ » رواه مسلم .

والحـديث يُفـصح : أن لا إله إلا الله ، لهـا لـفظ ومعـنى ، ولكـن الناس فـيـهـا ثلاث فرق ، فـرقة نطقوا بـها وحقـقوها ، وعلموا أن لهـا معنى وعـملوا به ، ولـها نواقض فـاجتنبـوها . وفرقـة : نطقـوا بها في الظاهـر ، فزينوا ظواهرهـم بالقـول ، واسـتـبطنوا الكفـر والشك . وفـرقـة نطقـوا بـهـا ، ولـم يعـملوا بمعناها ،وعـملوا بنواقـضـهـا ، فـهؤلاء (الـذين ضل سعيهـم في الحيـاة الدنيـا وهـم يحسبـون أنهـم يحسنون صنعاً) .

فالفرقة الأولى ، هي : الناجية ، وهـم المؤمنون حقـاً ، والثانية هـم : المنافقون ، والثـالثة هم : المشـركـون ، فـلا إله إلا الله : حـصن ، ولكـن نـصبـوا عـليـه منجنيق

التكذيب ، ورموه بحجارة التخريب ،فدخل عليهم العدوّ فسلبهم المعنى وتركهم مع الصورة ، وفي الحديث : «إن الله لاينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» سلبوا معنى : لا إله إلا الله ، فبقي معهم لقلقة باللسان ، وقعقعة بالحروف ، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن ، فكما أن ذكر النار لا يُحرق ، وذكر الماء لا يُغرق ، وذكر الخبز لا يُشبع ، وذكر السيف لا يقطع ، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع .

فإن القول : قشر ، والمعنى : لبّ ، والقول : صدف ، والمعنى : درّ ، ماذا يصنع بالقشر مع فقدان اللب؟ ! وماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟ ! . لا إله إلا الله مع معناها بمنزلة الروح من الجسد ، لا يُنتفع بالجسد دون الروح ، فكذلك لا يُنتفع بهذه الكلمة دون معناها .

فَعَالَم الفضل أخذوا بهذه الكلمة بصورتها ومعناها ، فزينوا بصورتها ظواهرهم بالقول ، وبواطنهم بالمعنى ، وبرز لهم شهادة القدم بالتصديق ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١٨)﴾ [آل عمران] .

وَعَالَم العدل(١) : أخذوا هذه الكلمة بصورتها دون معناها ، فزينوا ظواهرهم بالقول ، وبواطنهم بالكفر ، بالاعتقاد فيمن لا يضر ولا ينفع ،

(١) كلمة العدل في الغالب تقابلها كلمة الفضل من جهة الثواب والعقاب عند الله عز وجل ومن ذلك قول البيجوري في منظومته (الجوهرة) : فإن يثبْنا فبمحض الفضل . . . وإن يُعَذّب فبمحض العدل

ولكن لعل مقصود الشيخ هنا بقوله : « وعالم العدل » أي الذين عدلوا وساووا الله بغيره في العبادة وجعلوا له شريك . قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** (١)﴾ .

فقلوبهم مسودة مظلمة ، لم يجعل الله لهم فرقاناً يفرقون به بين الحق والباطل ، ويوم القيامة يبقون في ظلمة كفرهم ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** ⑰﴾ [البقرة] .

فمن قال : لا إله إلا الله ، وهو عابد لهواه ، ودرهمه ، وديناره ، ودنياه ، ماذا يكون جوابه يوم القيامة لمولاه ؟ ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ [الجاثية :٢٣] . « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطى رضي ، وإن لم يعط سخط » رواه البخاري .

إذا قلت : لا إله إلا الله ، فإن كان مسكنها منك اللسان لا ثمرة لها في الثمرة ، فأنت منافق ، وإن كان مسكنها منك القلب ، فأنت مؤمن ،وإياك أن تكون مؤمناً بلسانك دون قلبك ، فتنادى عليك هذه الكلمة في عرصات القيامة [إلهي صحبته كذا وكذا سنة ، فما اعترف بحقي ، ولا رعى لي حرمتي ، حق رعايتي] فإن هذه الكلمة تشهد لك أو عليك .

فَعَالَم الفضل : تشهد لهم بالإحترام حتى تدخلهم الجنة ؛ وَعَالَم العدل تشهد لهم بالإجترام حتى تدخلهم النار ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ⑦﴾ [الشورى] .

لا إله إلا الله : شجرة السعادة إن غرستها في منبت التصديق ، وسقيتها من ماء الإخلاص ، ورعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها ، وثبت ساقها ، واخضرت أوراقها ، وأينعت ثمارها ، وتضاعف أكلها ﴿ **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾ [إبراهيم : ٢٥] .

وإن غرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق ، وأسقيتها بماء

الرياء، والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدير العَذر، ولفحها هجير هجر، تناثرت ثمارها، وتساقطت أوراقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبَّت عليها عواصف القذر، ومزَّقتها كل مُمَزّق ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان].

فإذا تحقق المسلم هذا، فلابد معه من تمام: بقية أركان الإسلام، كما في الحديث الصحيح: « بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ». وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم) أهـ.[1]

(١) الدرر السنية ٢/ ١١٢).

ما يتميَّز به المسلم عن المشرك

ويقول أيضاً رحمه الله : (بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي يستدل على وجوب وجوده ببدائع ما له من الأفعال ، المنزَّه في ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال ، أنشأ الموجودات فلا يعزب عن علمه مثقال ، أحمده سبحانه وأشكره إذ هدانا لدين الإسلام ، وأزاح عنَّا شبه الزيغ والضلال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موحّد له في الغدو والآصال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي جاءنا بدين قويم فارتوينا مما جاءنا به من عذب زلال ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين هم خير صحب وآل ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فقدطلب مني بعض الأصدقاء الذي لا تنبغي مخالفتهم أن أجمع مؤلفاً يشتمل على مسائل أربع وقواعد أربع يتميَّز بهن المسلم من المشرك .

الأولى : أن الذي خلقنا وصوَّرنا لم يتركنا هملا ، بل أرسل إلينا رسولا معه كتاب من ربنا ، فمن أطاع فهو في الجنة ومن عصى فهو في النار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً** (١٥) ﴾ [المزمل] .

الثانية : أنه سبحانه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده مخلصين له الدين والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** (٥٦) ﴾ [الذاريات] . وقال : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** (٥) ﴾ [البينة] .

الثالثة : أنه إذا دخل الشرك في عبادتك بطلت ولم تُقبل ، وأن كل ذنب

يرجى له العفو إلا الشرك . والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ [الزمر] .

وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾ [النساء] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾ [المائدة] .

المسألة الرابعة : أنه إذا كان عملك صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، فلابد أن يكون خالصاً صواباً على شريعة محمد ﷺ ، ولذلك قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعبّادهم وقرّائهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف] . وقال تعالى : ﴿وجوهٌ يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية﴾ [الغاشية : ٢] .

وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصة ، بل كل من اجتهد في علم أو عمل أو قراءة وليس موافقا لشريعة محمد ﷺ فهو من الأخسرين أعمالا الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز ، وإن كان له ذكاء وفطنة ، وفيه زهد وأخلاق ، فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة ، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة ، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادة قوية ، وليس موافقا للشريعة بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه)أ هـ .(١)

---

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ خمسون رسالة في التوحيد ـ للإمام محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣ طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

أصل دين الإسلام وقاعدته

ويقول أيضاً رحمه الله : (أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

الثاني : الإنذار من الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه وتكفير من فعله ، والمخالفون في أنواع : فأشدّهم مخالفة من خالف في الجميع . ومن الناس من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ، ولم يُعاد أهله .

ومنهم : من عاداهم ولم يُكَفّرهم .

ومنهم : من لم يحب التوحيد ولم يبغضه .

ومنهم : من كَفَّرهم وزعم أنه مسبة للصالحين .

ومنهم : من لم يبغض الشرك ولم يحبه .

ومنهم : من لم يعرف الشرك ولم ينكره .

ومنهم : من لم يعرف التوحيد ولم ينكره .

ومنهم : ـ وهو أشد الأنواع خطراً ـ من عمل بالتوحيد ولكن لم يعرف قدره ولم يبغض من تركه ، ولم يُكَفِّرهم .

ومنهم : من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره ، ولم يُعاد أهله ولم يُكَفِّرهم ، وهؤلاء قد خالفوا ماجاءت به الأنبياء من الله سبحانه وتعالى . والله أعلم) أهـ .[١]

---

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ ص ١٢٦ طبعة مكتبة التراث الإسلامي .

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله شرحٌ نفيس لهذه الكلمات ، فَلْيُرجع إليه في (مجموعة التوحيد ـ الرسالة الأولى ـ ص ٤٧) .

ويقول أيضاً رحمه الله : (وأنت يامن مَنَّ الله عليه بالإسلام وعرف أن ما من إله إلا الله ، لا تظن أنك إذا قلت : هذا هو الحق ، وأنا تارك ما سواه ، لكن لا أتعرَّض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً ، لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام ، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم ، كما قال أبوك إبراهيم والذين معه : ﴿ **إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة :٤] وقال تعالى : ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وقال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل : ٣٦] .

ولو قال رجل : أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق ، لكن لا أتعرَّض للاّت والعزى ، ولا أتعرض لأبي جهل وأمثاله ، ما عليَّ منهم ، لم يصح إسلامه . أهـ .[١]

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ـ ص ١٢٦ ، طبعة مكتبة التراث الإسلامي .